خاتمة

في زمن يتّجه فيه العالم أجمع إلى العمل معاً، لا بل، في أماكن كثيرة منه، إلى العمل بمنطق الوحدة والتكتّلات، ما زال عالمنا العربي يبحث عن هويّة جماعيّة يفتقدها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية. فالشأن التربوي، كغيره من الشؤون، وإن حقّق نقلة نوعيّة مشهوداً لها، ما زال خاضعاً لحسابات الأنظمة السياسية، والتقاليد الاجتماعية، والنزعة إلى التفرّد في العمل. هذه الحالة العامة بدأت تسلك طريق التغيير في أوطان ومجتمعات عربيّة عدّة، وفي مقدّمها لبنان، حيث شهد الاهتمام بالتربية والمدارس وقضايا الطفولة في السنوات الأخيرة تزايداً ملحوظاً، وحيث شقّت جمعيّات أهليّة عدّة طريقها ملتزمة هذا الاتجاه، ومركّزة جهودها على خلق حالةٍ من الوعي الشعبي الجماعي تؤدي إلى التغيير المُرتجى على صعيد التربية عامة والمدارس خاصة. أبلغ مثال على ذلك، ما شهده لبنان في العقد الأخير، حين تداعى مواطنون وجمعيّات أهليّة ومؤسسات صناعيّة وجامعات، للوقوف إلى جانب المدرسة الرسميّة بغية دعمها ومساعدتها على النهوض خدمة لكلّ أولاد المجتمع. كذلك ظهرت جمعّيات تعمل من أجل قضايا محدّدة مثل الإعاقات التعلميّة، والتوحّد، وسرطان الأطفال، وغيرها..

هذه اليقظة العامة أوجدت حالة وعي جديرة بالاهتمام عند الكثيرين من أهالي التلامذة في القطاعين الرسمي والخاص. فكم من مدرسة رسميّة، يقف أهالي تلامذتها إلى جانب الإدارة والمعلّمين من أجل مشروع يعود بالخير على أولادهم، مثل تجهيز المدرسة بآلات الكومبيوتر، أو تقديم وسائل سمعبصريّة وغيرها. في إحدى المدارس الرسميّة الصغيرة في منطقة متواضعة من لبنان، إلتقيتُ أهلاً يهبون من القليل الذي يملكونه ليساعدوا تلامذة المدرسة كي يتمكنّوا من عرض مسرحيّة كانوا يعملون على إعدادها مع أستاذ المسرح، وهو بدوره متطوّع ومن ذوي الطلاّب، في أحد المسارح الكبرى في المنطقة. ولم يكتفوا بهذا، بل عمل البعض منهم مع المعلّمين لإعداد كلّ ما يلزم من ثياب وعدّة وأكسسوار عارضين خدمتهم للمساعدة في الديكور والتنظيم وكلّ ما يضمن نجاح هذا الجهد الجماعي.

على مستوى المدرسة الخاصّة في لبنان، تتسع شريحة الأهل الذين يعيشون يقظة ناشطة لدورهم، لكنّ العدد يزداد وينقص نسبة إلى مستواهم الثقافي، ومدى حبّهم وتقديرهم للتعلّم، وحجم تطلّعاتهم وطموحاتهم لأولادهم. وتتقاطع هذه اليقظة مع رغبة الكثيرين منهم بالدخول في شراكة تربوية مع مدارس أولادهم، أو أقلّه بالقيام بعمل مشترك يسمح لهؤلاء بمعرفة ما يجري في حياة أولادهم التعلّمية، ويتيح لهم المجال أن يُبدوا آراءهم ببعض الأساليب التربوية المتّبعة. لكنّ واقع المدرسة يبقي كلّ مشروع شراكة، بل كلّ مبادرة لإشراك الأهل، رهناً بالأسلوب القيادي السائد في المدرسة، والفلسفة التربوية التي يعتنقها هذا أو ذاك من المديرين وخاصة في المدرسة الخاصة. فمن هؤلاء من يؤمن بالتكامل في العمل بين المدرسة والبيت، ومنهم من يفضّل إبقاء الأهل في موقع «الزبائن» ليس إلا، خوفاً من تجاوزهم الحدود.

في الواقع، بادرت مدارس عدّة إلى اتّخاذ خطوات جدّية تجسّد رغبتها بإشراك الأهل في العمليّة التربويّة. لهذا الهدف، عبّرت عن هذا التوجُّه من خلال: تكثيف اللقاءات مع الأهل، وبينهم وبين المعلّمين، وتنويعها؛ إدخال الأهل في لجان للتحضير والتنظيم والمتابعة والتقييم في نشاطات عدّة مثل المهرجان المدرسي، احتفالات التخرّج، رحلات الصغار، التأسيس لمكتبة متخصّصة في المدرسة؛ وضع برامج تثقيفية وحلقات تدريبية خاصة بالأهل في مجالات مختلفة؛ وغيرها. حتّى إنّ البعض استطاعوا تلزيم لجان الأهل مبادرات مهمّة اتّخذتها المدرسة تجاههم، مثل برنامج تثقيفي متكامل في اللغات وفي الطرائق التربويّة والفنون التشكيليّة يمتدّ إلى عدّة فصول وحتّى سنوات، والهدف طبعاً، مساعدة الأهل على زيادة معارفهم ومهاراتهم كي يتمكّنوا من متابعة تعلّم أولادهم من جهة، ويكونوا قدوة لهم في التعلّم من جهة ثانية. أمّا برامج تطوّع الأهلين للعمل في المدرسة ومن أجلها، فهي تنمو وتزداد في مدارس لبنان، وإن كانت ما زالت مرهونة بأسلوب مدير المدرسة وشخصيّته، وبمدى محبّته للناس واقتناعه بدور الأهل في العملية التربوية.

إنفتاح المدرسة على الأهل يلقى صدى إيجابياً في العديد من المدارس في لبنان والعالم العربي، وقد أُخبرنا عن تجارب مهمّة في هذا الاتجاه، في الأردن ومصر والسعودية والكويت ودولة الإمارات تؤكّد أنّ الوعي العربي لضرورة قيام شراكة تربويّة، على الأقل في قضايا أساسيّة في حياة الأطفال، يزداد يوماً بعد يوم مع انفتاح عالمنا العربي على المجتمعات والأنظمة التربويّة كافةً، في زمن العولمة، الزمن الذي يتسّم بالتثاقف وبانفتاح الحضارات على بعضها. المهمّ، أنّ الوعي يترافق مع قناعة عند الجميع، بأنّ ما يعني الواحد منهم يعني الآخرين، وما هو مهمّ

لأولاد الجبال، هو بذات الأهميّة لأولاد المدن، وما هو ضروري لابن الغني، ضروري أيضاً لابن الفقير، ونجاح التلميذ ونموّه المتكامل والسليم ليس حكراً على المدرسة ومعلّميها، بل هو همّ أوّلي للوالدين ويقضّ مضاجع الكثيرين منهم.

التأسيس لشراكة بين المدرسة والأهل، وإن كانت موضوع جدال في أماكن كثيرة، هي أمر واقع في أماكن أخرى، ومحتّم في المستقبل القريب، لا سيّما مع الوعي المتزايد لدى الأهل لدورهم، ولحقّهم الطبيعي بمتابعة ما يجري في حياة أولادهم، ولإبداء الرأي والتأثير على مسار العملية التربوية لصالح تربية متوازنة متكاملة. يبقى أن يقتنع قادة التربية بمبدأ الشراكة في التربية، وأن يدركوا أنّ هذا المبدأ ليس مجرّد «موضة» أو نزوة عابرة، بل هو حقيقة ترافق ثقافة الناس ونضجهم وانفتاحهم ومدى اهتمامهم برسم صورة مستقبل أولادهم مع كلّ المعنيين بشؤونهم.

ليس هذا الكتيّب سوى محاولة متواضعة في اتجاه الشراكة التربوية على أمل أن يؤسس لسلسلة من الأبحاث التربوية المتصلة بهذا الموضوع، المبنية على تجارب وخبرات ميدانية محددة في المجتمع العربي.

المراجع

شيلدون، شافر. (٢٠٠٤). **الشراكات والمشاركة في التعليم الأساسي، المجلّد الأوّل: الحقائب التدريبيّة**. ترجمة د. محمد بلال الجيوسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض. صدر برعاية مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية - بيروت، ومكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض.

الصريصري، د. دخيل الله حمد والغارف، د. يوسف حسن. (٢٠٠٣) **الإدارة المدرسية: طروحات، خبرات عملية، وتجارب ميدانية**. دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

فضّول، سيمون (٢٠٠٤). **الشراكة في التربية**. مشغل ضمن مؤتمر القيادات التربوية بعنوان «الشراكة في رسم المستقبل»، من إعداد الملتقى الثقافي التربوي للمدارس الخاصّة. عمّان، الأردن.

Boyd, V. & Hord, S.M. (1994). *Principals and the new paradigm: Schools as learning communities*. Paper presented at the annual meeting of the American Educational Research Association, New Orleans.

Carmichael, L. (October 1982). Leaders as learners: A possible dream. *Educational Leadership,* 40(1), 58-59.

Colombo, M. (2004). Family Literacy Nights... and the Other Home-School Connections. *Educational Leadership*. 61 (8) 48-51.

Decker, Larry. (September 2001). Allies in Education. *Principal Leadership*. 42 - 46.

Epstein, J. (January 1986). Parents' Reactions to Teacher Practices of Parent Involvement. *The Elementary School Journa*l. 86, 277-294.

Epstein, J. & Salinas, K. (2004). Partnering with Families and Communities. *Educational Leadership*. 61 (8) 12-18.

Epstein, Sanders, Simon, and others. (2002). School, Family, and Community Partnerships: Your Handbook for Action. Thousand Oaks, CA: Corwin Press, Inc.

Fullan, Michael. (2001). *Leading in a Culture of Change*. San Francisco: Jossey-Bass.

Gotts-Purnell Models of School-Family Relations. In Leon, L. (December 2003). Parents & Secondary Schools. *Principal Leadership*. 32-37.

Guastello, F. (May 2004). A Village of Learners. *Educational Leadership*. 61 (8) 79-83.

Henderson, A. & Raimondo, B. (September 2001). Unlocking Parent Potential. *Principal Leadership*.27-32.

National Parent Teacher Association. (2000). *Building Successful Partnerships: A Guide to Developing Parent and Family Involvement Programs*. National Education Service, Bloomington, Indiana.

Saphier, J. & King, M. (1985). Good seeds grow in strong cultures. *Educational Leadership*, 42 (6), 67-74.

Tunseth, J. & Nowicki, C. (December 2003). The Promise of Partnerships. *Principal Leadership*.43-46.

Ziegler, W. (September 2001). School Partnerships: Something for Everyone. *Principal Leadership*. 68-70.